

المبحث الرابع

شعره في زمن الثورة

يتجلى شعر أحمد سحنون في هذه المرحلة من خلال مضامين متنوعة ، شملت محنته المؤيدة بمحنة الشعب الجزائري ويطولاته الخالدة ، ففي شعره نجد الثورة والتحدي ، وفيه نقرأ لعوالم مرعبة مفزعة أساسها سجون فرنسا ومعتقلاتها ومحتشداتها (*) التي تحول الوطن في ظلها إلى ساحة للعذاب ، وإذا كان الدكتور «صالح خرفي» قد لاحظ سكوت أحمد سحنون عن قرص الشعر في بداية الثورة التحريرية قائلاً : «وسكت أحمد سحنون الذي كان في الأربعينيات يلتمس وهج الثورة بأطراف أصابعه ، ويشرف على الجماهير إشراف القائد على الكتائب الزاحفة ، ويستنفر الشعب بشعريكا يصعد في السماء»^(١) فإننا نقرأ لأحمد سحنون بعد ذلك قصائد لا حصر لها ، وستكون القراءة وفق العوالم الآتية :

-
- (*) للسجون الفرنسية في الجزائر مصطلحات متعددة منها : السجن والحبس والمعتقل والمحتشد .
- أما الحبس فهو المصطلح المرادف لكلمة سجن ، وقد دأب الشعب على استعماله أيام الثورة .
- والمعتقل يعني : تجمع عدد من المجاهدين في مكان محروس غير السجن المعهود ، ويشمل أيضا أولئك الذين لم تقض المحكمة الفرنسية في شأنهم بحكم ، فتركوا بين القضبان بمصير مجهول .
- والمحتشد : يطلق على المخيمات التي تقيمها فرنسا في كامل أنحاء الوطن لتحشر فيها الشعب وتعزله عن الثوار .
- انظر : «المعجم الموموعي لمصطلحات الثورة التحريرية» ، د . عبد المالك مرتاض - ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر - ١٩٨٣ : ص ١٠٦ ، ١١٣ .
(١) «الشعر الجزائري الحديث» ، د . صالح خرفي : ص ٢٢٤ .

أ. عالم السجن

يتميز أحمد سحنون عن غيره من الشعراء الجزائريين المسجونين ، فنسبة النماذج التي عبر فيها عن عالم السجن وما صاحبه من غربة وحزن وحنين تفوق نسبة الآخرين (*) ، ومن هنا جاءت تسميته لهذه القصائد (حصائد السجن) وهو حصاد مر علقم ، فقد تحول موضوع السجن عنده إلى صراع بين الماضي الإسلامي العزيز الزاخر المليء بأسباب الحياة ، وحاضر مؤلم يصارع فيه السقوط ، ويعاني الويل والأسى ففي قصيدته «أين يا صдах» صورة لهذه التجربة حين تبدو المفارقة المؤلمة ، بين الماضي الذي رفع الشاعر وأعزه ، فوهب له الرخاء والهناء ، والحاضر الذي اعتدى عليه فأذله ، وقد أسماها «أنشودة» ، «والإنشاد عنصر من عناصر الجمال في الشعر ، لا يقل أهمية عن ألفاظه ومعانيه» (١) والإنشاد في عالم السجن والغربة ، لا يأتي إلا حزناً باكياً يقول (٢) :

أين يا صдах ما كان لنا	من رخاء وصفاء وهنا؟
أين ولى ذلك العهد الذي	قد جمعنا فيه أشتات المنى؟
أين ما كان لنا من سؤدد	عز فيه كل مظلوم بنا؟
أين ذاك العهد أيا ن اختفى	أين غابت كلها تلك الدنا؟

وتكرار الشاعر لأداة الإستفهام يعني شيئاً مهماً في إيقاع القصيدة التي أبدعها صاحبها من أجل الإنشاد ، فضلاً عن أن تردد «أين» يعني ارتباط الإستفهام بالحالة الحزينة للشاعر ، وقد حتمت النظرة التقليدية للشاعر مثل هذا الشرح والتوضيح

(*) التفوق هنا لا يعني إلا الكم، أما الفن فإن الشاعر نفسه يعترف بضعفه، حين ذكر في مقدمة ديوانه بأنه زاهد في تقديمه للنشر، وأنه غير راض عنه . والسبب في ذلك كما يقول : «لأنني لا أراه معياراً عما أشعر به من صور وأخيلة» انظر : «ديوان أحمد سحنون» : ص ٦ .

(١) «موسيقى الشعر» : د. إبراهيم أنيس، ط ٥ - مكتبة الأنجلو المصرية - ١٩٨١ : ص ٦٤ .

(٢) «ديوان أحمد سحنون» : ص ١٥٨ .

الذي يأتي في البيت الثاني وما بعده مفصلاً وموضحاً ؛ لما كان فيه الشاعر وقومه من عزة ورفعة .

ويلتفت أحمد سحنون بعد هذا السؤال الحائرة إلى واقعه الذي يجرب فيه الغربة المؤيدة بالوثاق وقسوة الجلال (١) :

يا لها غربة عن الأوطان	نبهت ما غفا من الأشجان
غربة ضوعفت بنفي وسجن	وتناهت بقسوة السجان
شل فيها فكري وأجذب إلها	مي وأودت بحكمتي وبياني
وقريضي قد عقني وتلاشي	بين جدرانها صدى ألحاني

والأبيات تسقط في النثرية ، والتعابير الجاهزة التي يؤكد بها العقل الواعي ، لكنها تحمل صدقاً ذاتياً ، وإحساساً عميقاً بالمحنة ؛ فالشاعر لم يترد إلى المخزون الثقافي كما في فعل معاصريه ، ولم يغال في قوته ، ولكنه قد حاول التعامل مع واقعه بلغة ، قد لا تكون شعرية ؛ لكنها لغته وتعابيره التي لجأ إليها صادقاً كاشفاً عن همومه وأحزانه ، بعيداً عن كل ادعاء أو زيف ، وليس عيباً أن يفعل ذلك « فلم يكتفم الرجال الأشداء الذين عرفوا بسمو المطلب والمنزلة وبمعاناة الأخطر ، لم يكتفوا - عندما هالهم ظلام الحبس - الوهن الذي تملك نفوسهم في عزلتها بين الذل والخوف » (٢) .

وتعد قصيدة «أيها المبعد» إحدى موشحاته التي تلتقط حركة النفس ، وهي تتصارع مع عالم السجن المفجع ، ففيها يتحول السجن إلى قبر موحش ، يلفه ظلام دامس ، يحيط بالشاعر الذي طال بعده عن الصبية والوطن ، ويمكن القول : إن أحمد سحنون قد عاش تجربة النهاية في هذه القصيدة ، لكنها تجربة قاصرة عن أن تبلغ ما بلغته تجارب الشعراء العرب الأوائل المسجونين ، حين سجلوا خواطرهم ومشاعرهم ، وهم يتأهبون لأن يفارقوا الدنيا ، والقاسم المشترك بينه وبينهم أن

(١) «ديوان أحمد سحنون» : ص ١٠٥ .

(٢) «الأسر والسجن في شعر العرب» ، د. أحمد مختار البزرة ، مؤسسة علوم القرآن ، ط ١ . دمشق - بيروت

١٩٨٥ : ص ٤٧٣ .

السجن هو طريق النهاية أو هو القبر : (١)

أيها المبعد ما أعظم صبرك
أنت قبل الموت قد أودعت قبرك
أنت لا تشكو لغير الله أمرك
أيها المبعد قد طال بعادك
فلقد أوشك أن يطوى كتابك

والذي يؤلم الشاعر في سجنه تلك الحياة الجامدة التي يحياها بين جدران
السجن ، فسجنون القائد والمعلم الواعظ يأتيه يوم لا يرى فيه إلا ذلاً وهواناً وجموداً ،
وبثت الحياة على هذه الشاكلة (٢) :

أيها المبعد في أقصى الحدود
أفما تسأم من هذا الجمود؟
أفترضى العيش في هذي اللحود؟
أفما ثرت على دنيا القيود؟

وفي سجنه الذي هو سجن كل الجزائريين الذين أجبرهم الاستعمار على أن
يكونوا كذلك في وطنهم ، يستغل الشاعر كل مناسبة تحل به ليسأل علّه يجد جواباً
لقضيته ، وكذلك فعل في قصيدته «عام جديد» ، يقول (٣) :

عام جديد يقبل	هل فيه خير يؤمل؟
هل فيه من فرح يتا	ح ومن هناء يشمل؟
شعب الجزائر في السجو	ن وفي الحديد مكبل
شعب الجزائر كالقطيـ	ع مشرد ومقتل
شعب صباياه بنير	ان الرصاص تجندل
فعلت به الأزمات والـ	أحداث مالا يفعل

(١) «ديوان أحمد سحنون» : ص ١٥٤ .

(٢) «ديوان أحمد سحنون» : ص ١٥٥ .

(٣) «ديوان أحمد سحنون» : ص ١٢٢ .

وعالم السؤال عنده مقرون بالواقع السياسي والاجتماعي الخطير فالمحتشدات والسجون والقتال الدائر في الجبال والموت والإعدام ؛ كل ذلك باعث لرزعنة النفس ، وثورة الروح . وتعتبر قصيدة (الطود) التي ناجى فيها (جبل الضاية) من وراء القضبان أبلغ تعبير عن لحظات النفس المجاهدة التي تفارق السجن ، وتتخطى حواجز الأسوار ، لتسمو إلى عالم الروح ، فقد كان للشاعر مع الطود ما كان مع (ابن خفاجة) و(مجنون بني عامر) في مناجاتهما(*) إن (جبل الضاية) عنده قوي شامخ ذو جلال وكبرياء أمام نفسه الضعيفة المحبوسة بين جدران ضيقة(١) :

أيها الواقف المطل على الدن	يا برأس متوج بالإباء
يتحدى الردى ويهزأ بالإعـ	صار والعاصفات والأنواء
لا يبالي صروف الليالي ولا يحـ	فل بالحادثات والأرزاء
أيها الطود ليت لي منك ما أو	تيته من مناعة واعتلاء
ليتني كنت أيها الطود- حراً	من قيود قد حطمت كبريائي

وتعد هذه الأمانى المكررة محاولة اجتيازية يفرضها واقع السجن على النفس ، فالطود في بداية القصيدة قوي حصين يتحدى بشموخه وعظمته ، لكن الشاعر يرتقي بعد ذلك إلى تيقظ روحي يتحد فيه (الجبل) كعنصر من عناصر الطبيعة الواعية المسعدة بذات الشاعر ، فيهامسه في مناجاة وجدانية تشف عن حزن مستتر ، وعن غربة روحية ممدودة . ويستمر تصاعد الخط النفسي والروحي من خلال الخطاب الموجه إلى الجبل ، وإذا بهذا الطود تتكرر صورته ، ويجيء تشخيصه لرمز متغير يقصد إليه الشاعر قصداً ، فهو في القسم الأول عنيد جبار ، لا يأبه بما حوله ، ويكون هنا رمزاً للدلالة عظيمة تمور بها النفس ، أهمها محاولة الانطلاق من عالم الغربة والوثاق ، ولن يكون

(*) ينظر : «ديوان ابن خفاجة» دار صادر، بيروت ١٩٦١ : ص ٤٣ .

وأيضاً : «ديوان مجنون ليلى» شرح عبد المتعال الصعيدي - مكتبة القاهرة - : ص ٤٩ ، د. ت .

(١) «ديوان أحمد سحنون» : ص ٥٩ .

ذلك جسماً فلا أقل من أن يكون روحاً ، ويتبدل الرمز بل يتسع ليشمل معاني أوسع مما يعنيه ، فإذا الطود (مكان الوحي) للشاعر يمنح القصيد والخلاص (١) :

أيها الطود أيها الجبل المو	حي جلال الخلود للشعراء
أيها القوة الكبيرة يا نبـ	ع قصيدي ويا معين غنائي
أنا في هذه الحياة شقي	ضاق ذرعاً بما بها من شقاء

وتمضي القصيدة في تصاعد مثير ، حيث تغادر روح الشاعر سجانها ، وتلتحم بالطود (رمز القوة الإسلامية) فينتفي المكان والزمان حوله ، ويتوالى عالم الرموز فيعيشه الشاعر متحدأ متصوفاً خاشعاً ، فلا السجن ولا جبل الضاية بقريبين منه لكنه المكان الروحي الذي انطلقت منه الرسالة الخالدة (الإسلام) :

من ذراك المنيعنة انبثق النو	ر على التائبين في الظلماء
وتوالى الهتاف بالخطبة المثلـ	لى من الثائرين والأنبياء
لم تزل مبعث الرسالات والثو	رات مثنوى الأبطال والزعماء

وتنتهي القصيدة بعد أن تكشف عن ظمإ الشاعر إلى الحرية ، وحينه إلى الانعتاق :

أيها الطود قد بثتلك آلا مي فهل أنت سامع لندائي
ومن البين أن هذه القصيدة وما أشبهها ترسم اتجاهأ نحو العالم الروحي الزاخر بالذكريات ، العالم الذي يريده الشاعر ويعرفه ويحب أن يعرف فيه ويذكر ، وقد ولدها حرمان حارق ، وظماً لاهب إلى الحرية ، التي لا يتحقق له السمو الروحي إلا في ظلها ، والقصيدة تجعلنا نشعر ببعض الاطمئنان إلى أن الشاعر لم يعتمد كثيراً على الموروث بقدر ما اعتمد على تجربة خاصة ، نراها مناسبة لسنه وسجنه فضلاً عن معاناته الروحية ، التي لا ينسى أن يذكرنا بها كلما جاد ببيت من الشعر في سجنه .

(١) «ديوان أحمد سحنون» : ص ٦٠ .

ب . اللجوء إلى الله

ويتسلح أحمد سحنون بجانب هام يقيه هم الغربة ، ووحشة السجن وقسوة الجلاذ ذلك هو اللجوء إلى الله ، والرجاء فيه . إنه العنصر الوحيد الذي يتحلى به الإنسان المؤمن في لحظات كهذه «والرجاء : حاد يحدو القلوب إلى بلاد المحبوب - وهو الله - وقيل : هو الثقة بجود الرب تعالى . . .»^(١) ومن المعروف أن الرجاء صنو الصبر : «قوة نفسية تردفها القيم الدينية والإنسانية ، وتصل قلب الشاعر بقوة الغيب التي هي فوق القوى جميعاً ، فيستمد منها ثباتاً مكيناً ، وقوام الرجاء : الإيمان بتغيير مجمل الأحداث المتوقعة تغييراً فجائياً ، وهو منطق تفره طبيعة الأحداث نفسها ، التي تبدو للشاعر خارجة عن إرادة البشر»^(٢) .

لقد عرف أحمد سحنون هذا الطريق ، فسلكه لاجئاً إلى الله الذي لا يقدر عليه أرباب السجن ، فهو الذي يبطش بالفراغنة المتجبرين ، وإليه المرجع حين تسود الأيام ، وتغلق الأبواب .

واللجوء إلى الله سمة الشاعر أحمد سحنون ، إذ لا يفارقه في جميع مراحل حياته الشعرية ؛ ذلك لأنه الأساس في حياته ، التي تشكل في ظل رحلة روحية ممتدة ، لا يفارق فيها مولاه ، ولا عجب في ذلك فهو الداعية والمصلح والإمام .

ونحن إذ نقرن الدعاء بشعر الثورة المؤيد بالسجون والمعتقلات ، فإنما نفعل ذلك لاعتبار أساسي ، فرضه الكم الشعري الذي قد يعود إلى حجم المعاناة التي يجربها الشعب تحت وطأة الإستعمار الفرنسي ، وهي المعاناة التي لا يرفعها عنه إلا الله ، فهو ناصر المظلومين .

والمؤكد أننا في هذه العجالة ، لا نروم الحديث عن كل أدعيته ؛ لكننا نريد أن نؤكد بعض سماتها ، ومنها اقترافها بضمير الجمع ، ذلك لأن الدعاء أساسه محنة

(١) «مدارج السالكين» ، ابن قيم الجوزية - تحقيق محمد حامد الفقي . ط ٣ - دار الكتاب العربي - بيروت ١٩٧٣ : ص ٣٥

(٢) «الأسر والسجن في شعر العرب» : ص ٤٨٥ .

الشعب الجزائري بأكمله ، والشاعر ملزم بمنطق المسؤولية الوطنية والإسلامية- على الحديث بهذا المفهوم يقول (١) :

رباه طال بلاؤنا	فإلى متى نتحمل
رباه ما لكروبنا	إلا عليك معول
اجعل العام الجديد	بكل خير يقبل

ويتحول الدعاء عنده إلى صيحات روحية يرسلها ؛ ليتخطى بها حواجز الأسوار ، ويعانق بها عالم الروح في لحظات المجاهدة ، يقول في قصيدة «صلة الشاعر بربه» (٢) :

رباه لم تبق لنا حيلة	وما لنا حول ولا قوة
وما لنا غيرك من عاصم	يعصمنا من هذه الهوة
أوطاننا الجنات لكننا	نأوي لسجن لم نطق جوه
أيامنا الغر استحالت إلى	صحائف للحزن متلوة
عجل لنا بالأمل المرتجى	وافتح لنا من فرج كوة

وتكتشف الشاعر للدعاء بالنصر دليل إيمان صادق ، وإحساس عميق بالجرح الذي حل بالإنسان الجزائري ، والذي لم يكن قائده أبناء فرنسا فحسب ، بل الحلف الأطلسي ، ومن لف حوله من الدول الظالمة المستبدة ، ولذلك نجد الشاعر وهو يتجاوز- في حديثه عن الظلم- الجندي الفرنسي ليصعد به إلى الإنسان الذي فقد صوابه حين تاه عن رسالته الحقيقية (٣) :

فتدارك بني الجزائر ربـ	ساه بلطف واشملهم بأمان
وانف عنهم ما في العبودية الحمـ	قاء من ذلة وعيش هوان
رب هبنا نصراً فإننا طلبنا	ثمن النصر بالنجيع القاني
رب لم يبق مسترقاً سوانا	فهب العتق للأسير العاني
فاعتباد الإنسان يا رب لا تقـ	وى عليه طبيعة الإنسان

(١) «ديوان أحمد سحنون» : ص ١٢٢ .

(٢) «ديوان أحمد سحنون» : ص ١٤٩ .

(٣) «ديوان أحمد سحنون» : ص ١٠٦ .

ج . عالم الأبناء

يُعدُّ الحنين إلى الأبناء إحدى الإنجازات المهمة في سجنيات أحمد سحنون ، ففي ديوانه قصائد عديدة تكثر في طياتها حنينه الطاعني إلى أبنائه ، والحنين نعمة أزلية أودعها الله في الإنسان ، فلولاها ما تذكرنا وما عشنا ، وما كانت الغربة وكان الصبر والرجاء .

وبين جدران السجن تتحرك عاطفة الشاعر ، ويستبد به الشوق إلى وطنه الأكبر حيث معاناة الشعب ، وإلى وطنه الأصغر حيث الصبية يعانون الجوع والعري والموت بين مخالب الذئاب ، وتلك هي شيمة الشاعر العربي في كل زمان «فهو كثير الإشفاق على ولده ، كثير السهر على حمايته ، شديد الالتصاق بالأرض التي فيها أبنائه مخافة أن تنقطع عنهم رعايته ، بل كره بعضهم الموت وتمنى الحياة شفقة على أولاده ، حتى لا يقعوا فريسة لليتم وما فيه بلاء وذل»^(١) . وتزداد الشفقة والحنين حدة إذا كان هؤلاء بناتاً وعن ذلك قال أحدهم^(٢) :

لقد زاد الحياة إليّ حباً بناتي إنهنّ من الضعاف
مخافة أن يذقن الفقر بعدي وأن يشربن رنقاً بعد صافي

ولعل هذا ما وقع للشاعر أحمد سحنون حين خفق قلبه بالعديد من القصائد في وحشة ليلاليه ، وقسوة أيامه ، وأغلبها قصائد تتوثب بعاطفة الأبوة ، حيث يشور الحنين إلى فلذات الأكباد ، فلا حياة له بدونهم^(٣) :

ما بين أولادي يقيم فؤادي لا خير في عيش بلا أولاد
فارقتم فإذا الحياة جميعها في ناظري قد جللت بسواد

(١) «جوانب مضنية من الشعر العربي» ، محمد عبد الغني حسن . مكتبة الأنجلو المصرية - د . ت : ص ٦ .

(٢) «العزلة» ، الخطابي السبتي — تحقيق عبد الغفار سليمان البنداري . دار الكتب العلمية — بيروت ١٩٨٥ : ص ٤٥ .

(٣) «ديوان أحمد سحنون» : ص ٧٥ .

لكن فرقتكم يهون وقعها أني أفارقكم لأجل بلادي
الله يرداكم إلى أن نلتقي وننال بالتحير كل مراد

ولعل أحداً من أبنائه لم ينل حظاً من هذا الحنين مثلما نالته ابنته الصغيرة (فوزية) حين ظل كل شيء يذكره بها في سجنه ، سيما إذا كان قريب الشبه بهذه الصغيرة المدللة كتلك العصفورة التي وقفت على نافذته ، فأثارت في نفسه من الهواجس ما أثارت الحمامة في نفس أبي فراس الحمداني فيقول^(١) :

عصفورة مرت على غرتي	تشدو بلحن ساحر النبرة
مرت تغني فاستثارت جوى	قلبي وأشواقى لعصفورتي
عصفورة تشبها روعة	في الوثب والتغريد والصورة
عصفورتي إن جئت أرض الحمى	وسمت (هكذا) بيتاً قد حوى صبتي
كوني رسولاً صادقاً للتي	منهم تدعى بفوزية
وبلغيها من أب واله	تحية الطل إلى الزهرة
قولي لها لا تهلكي بالأسى	ولا يذب قلبك بالحسرة
وسوف تأتي ساعة الملتقى	لا بد للغائب من أوبة

والقصيدة رغم ما تحمله من عواطف نبيلة إلا أنها تُخفق فنياً ، فلا تعدو أن تكون مجرد رسالة عادية من أب غريب عن ابنته ، فالتقرير والمباشرة قد أفسدا التجربة فبدت سطحية هزيلة ، ولعل هذه سمة شعر المسجونين والغرباء منذ القديم «فحينهم يأتي في أغلب الأوقات بوحاً ساذجاً ، ولكنه متدفق من الأعماق ، ويغلب على النفس في جيشانها العاطفي سذاجتها وعفويتها فلا يتاح لها تعميق الأفكار أو الغوص وراء تأمل بعيد»^(٢).

ونفس الحب والحنان يكتنه الشاعر إلى ولده (رجاء) لكنه حب يأخذ وجه الثقة

(١) «الأسر والسجن في شعر العرب» : ص ٤٩٠ .

(٢) «الأسر والسجن في شعر العرب» : ص ٤٩٠ .

والاطمئنان والإعجاب والتشجيع^(١) :

ياحبيب الروح يا كل هواها	(يارجاء) النفس يا أقصى منهاها
مهجتي إن أظلم الخطب دجاها	ياعزائي في شقائي يا هدى
قرب الحزن نفوساً من رداها	لا تدع حزنك يرديك فكم
لك أن يسطع في الأفق سناها	وتجلد فأمانينا على وشـ

لقد عاش أحمد سحنون مواقف كثيرة ، وحالات عديدة في سجنه ، وفي بعض هذه الحالات حاول أن يقترب من عطاء أسلافه ، ويمكننا أن نقرأ ذلك في قصيدة (رباه) التي زواج فيها بين عاطفة الأب والأبناء حين فعلت فيه الوحشة والغربة مع أبنائه ما فعلته بأبي فراس الحمداني وأمه ، يقول أبو فراس^(٢) :

تسأل عنا الركبان جاهدة بأدمع ما تكاد تمهلها

ويرصد أحمد سحنون حركة صغيره ، وهو ينتظر بلهفة وشوق أباه^(٣) :

ويظل يرنو للطريق فلا يرى في العائدين مع المساء أباه
والشاعر أحمد سحنون ، لا يكتفي في هذه القصيدة بذكر صغيره المشوق ، بل يلجأ إلى كل أبنائه ليستعرضهم على مرآة قلبه ، وصفحة وجدانه واحداً واحداً^(٤) :

ومتى تعود سعادتي بسعيدتي	فلها فؤاد يكتوي بجواه؟
ومتى أعود إلى رجاء منيتي	فأرى محياه وألثم فاه
ومتى أرى فوزية فرؤية وجهها	تشفي فؤادي أو تبل صداه
ومتى ترى عيناى عيني زينب	فالظبي زينب أولها عيناه

إن هذا الاستعراض الطويل للأبناء ، إنما يدل على حركة النفس المضطربة ، وهي تصارع آلام الغربة وعذاب السجان ، والشاعر لا يكتفي في تأثره بالنموذج القديم

(١) «ديوان أحمد سحنون» : ص ٧٣ .

(٢) «ديوان أبي فراس، رواية ابن خالويه» - دار بيروت للطباعة والنشر - ١٩٧٩ : ص ٢٤١ .

(٣) «ديوان أحمد سحنون» : ص ١٥٩ .

(٤) المرجع نفسه : ص ١٥٩ .

فحسب ، إذا ما تعلق الأمر بعالم الأطفال ، بل يلجأ إلى الشعر العربي الحديث ،
فيأخذ منه هذه التجربة الصافية ، كما فعل مع محمود غنيم حينما اتكأ على قصيدته (أنا
وابنائي) فنظم على منوالها قصيدته (ابنتاي) قائلا^(١) :

تبوأتما مهجتي يا ابنتيا ولازم طيفاكما مقلتيما
أرى البيت روضاً بشخصيكما وإن غبتما كان سجناً عليا

والشاعر - بحكم إيمانه بالله - لم يترك نفسه تتعرض للسقوط أو الانهيار وسط
مجاهيل السجن ، فراح يزودها بمدد إيماني جعله يتوجه إلى خالقه ، يدعو كي يفك
أسره ، ويعود إلى صغاره الذين تركوا بلا عاطفة تأويهم^(٢) :

رباه رحماك لي قلب ولي كبد وأفرخ بعدهم عني يؤرقني
رباه رحماك بالقلب الذي به الرزايا وأذوته يد المحن

هذه صورة مجملة لما كتبه أحمد سحنون في عالم الأبناء الذي يبدو زاخراً مليئاً
بأسباب الحب والوفاء ممزوجاً بالمعاناة والألم ، ولعل هذه العواطف الصادقة هي
التي تشفع للشاعر في مثل هذه القصائد التي يمكننا أن نقول عنها : إنها ضعيفة فنياً
فالتقرير والمباشرة هما عمادها ، وهما سمتها التي لم تفارقها .

(١) «ديوان أحمد سحنون» : ص ٦٦ .

(٢) «ديوان أحمد سحنون» : ص ١٦٨ .

د . عالم البطولة

في الحديث عن البطولة في شعر الثورة التحريرية نجد أنفسنا أمام نوعين من الصور البطولية ؛ أما النوع الأول : فيعتمد فيه الشعراء على الانفعال الثائر المؤيد باللمحة الآنية ، التي تفرض عليهم نوعاً من المشاهدات العينية ، التي ترى البطولة إقداماً و قتالاً في أعالي الجبال .

ويتعلق النوع الثاني بصور بطولية ذات أبعاد عميقة ، إذ يحاول الشاعر من خلالها أن يصور لنا إنساناً جزائرياً ، تتكامل فيه المدركات الجهادية ، كما تتوفر فيه المكونات المستقبلية التي تجعله يتشكل في إطار الهدف الأسمى ، الذي هو بناء الدولة الجزائرية العربية المسلمة بعد الاستقلال .

ويمكننا أن نجد هذا النوع الثاني من الصور البطولية في شعر أحمد سحنون ، الذي يحلم ببطل يعبر به مرحلة الجهاد الضاري إلى زمن الاستقلال المشرق ، فحديثه عن البطولة حديث عما يجب أن يكون ، وشعره تأسيس لبطولة يجب أن تستمر ، ففي ظلها تكون الشهادة أو النصر ، الذي سيفصح عن جيل قيادي ذي سمات إسلامية ، يقول في قصيدة (البطل)^(١) :

رأى أرض أجداده الغالية	تحكم فيها العدو وسادا
فأعلنها ثورة حامية	تقوض ما قد بناه وشادا
وهب كعاصفة عاتية	يبيد الشرور ويمحو الفسادا
ولم يخش جلجلة المدفع	فإيمانه كان أقوى عتادا
يريد لأمته أن تسودا	وتمحو الشقاء وتنضو السوادا

فالبطل هنا مزود بالوعي الحضاري ، الذي يجعله يؤسس لبطولته بالتواصل مع زمن الأجداد ، ذلك لأن الهدف عنده لا يكمن في طرد فرنسا فحسب ، بل في حضارة

(١) «ديوان أحمد سحنون» : ص ٩٥ .

واعتصم بالله يعصمك ولا
لا تقل نحن قليلون فما
لا تقل ليست لنا أسلحة
عدة الإيمان أقوى عدة
لك في (بدر) دليل قاطع
فانصر الله تجده ناصراً

تخش مخلوقاً ولا ترج سواه
تضعف القلة من جند الإله
وعتاد مثلما عند الطفلة
كم أبادت من معدات العتاة
إذ جنى العزل من النصر جناه
وابذل الخير وجانب ما عداه

ياله من ثائر لم يغلب
هب للحرب بإيمان نبي
خاضا لم ير عر حكام الأجنبي
بالهزيمة لم يغلب
أسال التاريخ عن أمجاده
لنسى مجده مجده

1947-1948 (1947-1948)

... .. (1)

1940-1941

امض كالإعصار جبار الخطى	في تفران وتحد وصمود
وانتصب كالطود في وجه العدى	وتجاهل هول نار وحديد
ثمرة الجهد الذي تبذله	أن ترى شعبك خفاق البنود
وترى أغلاله قد حطمت	وترى أجناده أقوى الجنود
وترى آماله قد حققت	وترى نجم بنيه في صعود
واحمد الله على الجهد الذي	حرر الأوطان واهتف بالنشيد

إن البطولة عند أحمد سحنون بهذه الكيفية لا تخرج عن مرجعية إسلامية أساسها الملمح الإيماني ، الذي صنع البطولة منذ الأيام الأولى للدولة الإسلامية ، ولذلك نجده وهو يحث ويرشد ، ويوجه إلى الكشف عن ملامح هذه البطولة التي تغدو الجوهر لكل عمل بطولي يجب أن ينجز ، وفي سبيل ذلك نقرأ لقاموس طويل ممتد أساسه عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وخالد بن الوليد وعقبة بن نافع وطارق بن زياد وصلاح الدين الأيوبي . . . (١) :

فجيش الجزائر أقوى الجيوش	يؤدب من خان أو أهدا
سيطل من سن شرع الهوى	ويصلح في الكون ما أفسدا
بأقدام جيش النبي اتسى	بإيمان صحب الرسول ارتدى
بإصرار عقبة وابن الوليد	وطارق وابن نصير اقتدى

إن هؤلاء الرجال هم الأساس للقدوة ، وهم النماذج التي يجب أن يحتذى بها ، فعلى هديهم يكون الاستقلال وتكون النجاة (٢) :

يا أخي يا ابن البلاد يا رفيقي في
يا سليل ابن نصير وحفيد ابن زياد
سنبذل الحق الذي تحمل للأجيال هاد
معك المفعم بالصدق إلى التحرير حاد
سنبذل ما نملكه من شعبا بات مكلوم الفؤاد

(١) أحمد سحنون ، ص ٣١٧ .
(٢) ديوان أحمد سحنون : ص ٣١٧ .

والاقتداء بهؤلاء الأبطال يصير فخراً واعتزازاً لدى الشاعر أحمد سحنون ، الذي يحوله إلى مناجاة مفعمة بالإيمان يرفعها إلى محمد - صلى الله عليه وسلم؟ - عساها تكون شهادة على بطولة شعب مسلم ، لم يجاهد إلا لإعلاء كلمة الله ، وفوق هذا فالشاعر يمارس نوعاً من صوفية الجهاد التي يربو بها شفاعة محمد - صلى الله عليه وسلم - وهي الشفاعة التي تكون عوناً لهذا الشعب ، وسنداً له في محنته (١) :

يا رسول الله صرنا قوة	لا تبالي أي جبار عنيد
عجز الشيطان عن إغوائنا	مذ قهرنا كل شيطان مريد
إننا أمتك المثلى على رغـ	م أيام على ابن الضاد سود
لم تزل فينا تعاليم الهدى	لم تبد فينا موارد الجدود
إننا ضقنا بأحكام الهوى	فتطلعنا إلى الحكم الرشيد

(١) «ديوان أحمد سحنون» : ص ٢٠١ .